

التعليم في مقاطعة إفريقيا البروقنصلية واقعه ومؤسساته .

بصديق عبد الكريم¹

¹ جامعة احمد بن بلة وهران 1 – الجزائر

تاريخ الاستلام: 2020/12/05 تاريخ القبول: 2020/12/13 تاريخ النشر: 2021/01/01

كانت المواد الاثرية التي اكتشفت من طرف علماء الآثار في افريقيا البروقنصلية دليلا على الازدهار الاقتصادي سواء في المجال الزراعي أو الصناعي أو التجاري، إذ عبّر حرفيي ذلك العصر عن مظاهر الحياة الاقتصادية عبر مشاهد اللوحات الفسيفسائية التي عثر عليها في المباني العمومية ومنازل الأغنياء، كما تعد آثار المزارع الرومانية بما تحتويه من معاصر الزيت والتبيزد ومطمورات دليل على الاهتمام الكبير الذي أولاه الرومان للزراعة في افريقيا، وأظهرت المصنوعات من فخار ومعادن وحجارة التنوع الكبير والتأثيرات الحضارية التي شهدها المجال الصناعي، ومازالت آثار الأسواق والطرق التي شيدت لتسهيل عمليات التبادل التجاري بين المدن بعضها البعض، وكذا الموانئ من أجل المبادلات التجارية الخارجية المنتشرة آثارها عبر السواحل الشمالية والشرقية لإفريقيا شهدت إفريقيا الشمالية في الفترة الرومانية نموا وازدهارا في جوانب متعددة ولا شك أن هذا الازدهار ساهمت فيه عوامل كثيرة على رأسها حسب أغلب المؤرخين السلم الروماني¹ الذي فرضته روما بين القبائل بعد احتلالها للأراضي الإفريقية

¹ Callegarin) Laurent(, Productions et exportations africaines en Méditerranée occidentale, dans Pallas, 68,2005,p. 192

التعليم في مقاطعة إفريقيا البروقنصلية واقعه ومؤسسته .

جغرافية افريقيا البروقنصلية :

إفريقيا أو إفريقيا الرومانية هي مقاطعة رومانية قديما خضعت للاحتلال الروماني منذ القرن الأول قبل الميلاد وهي تشمل ما يعرف حاليا بالمغرب وتونس وجزء كبير من الجزائر وليبيا الحالية. وبعد الاحتلال الروماني قسمت المنطقة إلى مقاطعات إدارية في بداية الأمر إلى إفريقيا القديمة وإفريقيا الجديدة ثم في عهد الإمبراطور دوقلديان قسمت إلى ثلاث مقاطعات وهي: البروقنصلية والطرابلسية ومقاطعة البيزانس. وقد انتشرت الديانة المسيحية في هذه المنطقة في وقت مبكر يعود إلى القرن الأول الميلادي ودخل الأمازيغ فيها بقوة اعتقاد منهم أنها تخلصهم من الظلم، لكن الإمبراطورية الرومانية رفضت انتشارها وقابلتها بإجراءات كثيرة ضد المسيحيين مما أدى إلى صراع طويل بين المسيحيين والسلطة الرومانية .

أثبتت الدراسات أن منطقة شمال إفريقيا من المناطق الباكرة التي انتشرت فيها الديانة المسيحية فحسب المعطيات المتوفرة من خلال كتب القديسين الأفارقة الأوائل من أمثال ترتيليان وكبريانوس فإن دخول المسيحية كان سابقا للقرن الثاني الميلادي، فرغم عدم توفر معطى زمني محدد لدخولها، إلا أنه يكفي أن نعتمد على كتابات القديسين المذكورين للقول أن البدايات الأولى للمسيحية في شمال إفريقيا .كانت خلال القرن الأول الميلادي،¹ إشارات ترتليان في كتبه سنة 197م التي توجي بتجذر الديانة المسيحية في القرى والمدن والضيعات والجزر والمعسكرات² والمقابر، وهذا التجذر الواضح خلال نهاية القرن الثاني الميلادي لا بد أن يكون له مقدمات سابقة ترجع للقرن الأول الميلادي وهنا لا نتوقف عند القول أن الديانة المسيحية انتشرت في الشمال الإفريقي فقط نهاية القرن الثاني، نظرا لاعتمادنا على هذه المصادر

بصديق عبد الكريم

ومن الأدلة التي نعتمد عليها في الانتشار الباكر للديانة المسيحية في شمال إفريقيا هو وجود رجال دين كبار ومفكرين مسيحيين معتبرين كالقديس ترتليان) القرن الثاني الميلادي) الذي أسس أول كنيسة في شمال إفريقيا وهي كنيسة " قرطاج" وصاحب مؤلفات كثيرة أبرزها " الدفاع عن المسيحية⁴." ومنهم كبريانوس أسقف كنيسة قرطاج عاش في القرن الثالث الميلادي ولعب دور كبير في الفكر المسيحي بالنظر إلى الكتب الكثيرة التي خلفها والتي من أبرزها: " حياة كبريانوس"، "الشماس بونتيوس"، "الكنيسة الكاثوليكية الموحدة"، "إلى دوناتوس⁵."

كما يمكن أن نستدل على الانتشار الكبير للديانة المسيحية في إفريقيا هو العمق الذي خلقتة في المدن والأرياف ففي نهاية القرن الثاني الميلادي نجد أن الديانة المسيحية انتشرت في كامل إفريقيا البروقنصلية (تونس حاليا) وجزء كبير من نوميديا حتى أصبح أغلب² ساكنها تدين بها والدليل هو اجتماع عقده سبعين أسقف من المقاطعتين مع أغريبونوس أسقف قرطاج³. وفي نفس الفترة عقد اجتماع بالمقاطعة ضم تسعين أسقفا برعاية أسقف لامباز (Lambèse) برفاتوس⁴ Privatus).

ويؤدي الحديث عن زمن انتشار الديانة المسيحية في شمال إفريقيا إلى الحديث عن المدن الأولى التي انتشرت بها، فالبداية كانت قرطاج باعتبار أنها كانت من أهم الحواضر التجارية والفكرية خلال تلك الفترة، ثم أيضا انتشرت بحضرموت (سوسة حاليا) وكذلك في المدن النوميدية مثل تاغورة Thagura ومادور (Madaure) وحتى سيرتا وكويكول ((Cuicul) جميلة حاليا وحتى تبسة وتيمقاد وهيون وروسيكادا وطرابلس كانت تضم أربع كنائس أسقفية

² CheresPietri, Un judéo Christianisme Latin et l' Afrique Chrétienne Christianarespublica, Publications de l'École française de Rome, 1997, p,538.

³ - Ibid.

⁴ - Ibid, p,539.

التعليم في مقاطعة إفريقيا البروقنصلية واقعه ومؤسسته .

⁵ وقد تعرض المسيحيين في شمال إفريقيا خلال العصور الأولى من انتشارها إلى اضطهادات من طرف كل من الوثنيين والسلطة الرومانية مما أدى إلى استشهاد الكثير منهم ⁶، ولم يتحرر المسيحيون من هذه الاضطرابات إلا بعد أن أصدر الامبراطور قسطنطين مرسومه الشهير(ميلان) عام 313م والذي أعطى حرية لهم في ممارسة طقوسهم واجتماعاتهم دون مراقبة، وكان من نتائج هذا المرسوم الذي هو بمثابة اعتراف بالديانة المسيحية أنه خلال القرن الرابع الميلادي أصبح أكثر من نصف سكان إفريقيا مسيحيون وحتى عدد الأسقفيات ارتفع فإذا كان يبلغ مائتين وخمسين سنة 300م ليلعب ستمائة وخمسون في بداية القرن الخامس الميلادي ⁷ .

1-موقف الإمبراطورية الرومانية من انتشار تعليم الديانة المسيحية في إفريقيا:

إن الانتشار السريع للديانة المسيحية في شمال إفريقيا لم يرقى لرضى الإمبراطورية الرومانية التي رأت في هذا الدين الجديد تهديد لمكانتها ومكانة أباطرتها المقدسين بالخصوص فاعتبروا الدخول فيها تمردا عن سلطة الدولة، فشنت ضدهم موجة من الاضطهاد الممنهج والعنيفة بدءا من عصر الإمبراطور نيرون سنة 64م.

أما اضطهاد الإمبراطور دقلديانوس 284-305م (فهو الاضطهاد العاشر وهو معروف في تاريخ الكنيسة بأنه أخطر وأعنف اضطهاد على الإطلاق، وقد أشرك معه سنة 286م مكسميوس ليكون إمبراطور في الشرق وليتحكم أكثر في

⁵ - Robin Daniel ,L'héritage chrétien en Afrique du Nord, Traduit de l'anglais par Julian Brown et Mireille Boissonnat, Editions Tamaris, 2008,p,177.

⁶ -أرشمندريت أغناطيوس ديك، الحضور المسيحي في حلب خلال الألفين المنصرمين، ج 1، 2002، ص.19.

⁷ - Robin Daniel ,opcit,p,97.

بصديق عبد الكريم

انتشار المسيحية شرقا وغربا⁸ وقد بدأت الحملة العنيفة للإمبراطور دقلديانوس عام 303م ضد المسيحيين وذلك بإصدار أوامر بهدم كل الكنائس المسيحية وإحراق كتبهم واعتبار المسيحيين خارجين عن قانون لإمبراطورية الرومانية وبالتالي وجب معاقبتهم، وحتى العاملين في الجيش الروماني المعتنقون للديانة المسيحية وجب إعدامهم بدعوى أن الرب لم يقبل ذبيحته بسبب وجود بعض من جنوده مسيحيون أفضلوا احتفاله مع الإله⁹. وبموت الإمبراطور دقلديانوس انتهى عصر الاضطهاد المسيحي بفصوله العشر حيث أن اعتلاء الإمبراطور قسطنطين العرش حل السلام بمرسومه "ميلان" الذي سمح للديانة المسيحية بممارسة نشاطها بكل حرية¹⁰.

دور الجيش في الرومنة الثقافية والقانونية في إفريقيا البروقنصلية :

منذ عهد أوغسطس أصبح الجيش الروماني جيشا محترفا وقارا، وفي العصر الذهبي للإمبراطورية أصبح هذا الجيش يتألف من حوالي ثلاثين فيلقا بالإضافة إلى عدّة وحدات مساعدة. أما الخدمة العسكرية فتدوم 20 سنة بالنسبة إلى المواطنين الرومان (جنود الفيلق) و25 سنة للجنود المساعدين وهم مقاتلون محترفون من الأهالي أصيلي الولايات. كان للجيش الروماني دور أساس في الرومنة الثقافية والقانونية خاصة بالنسبة إلى الفئات الفقيرة من أهالي إفريقيا البروقنصلية، ذلك أن الخدمة العسكرية ضمن القوة المساعدة تمنح الارتقاء القانوني للجندي الذي يبلغ سن التقاعد أي أنه يحصل بعد 25 سنة من

⁸ الأنبا ياكوبوس، الاستشهاد المسيحي ومجد الشهداء، مطرانية الزقازيق، ص. egypt org. santamaria45، ص47.

⁹ -E .D Sainte -Marie, La tunisie Chrétienne , Lyon, bureaux des missions catholiques,1878,p,23

¹⁰ -Pierre Maraval , La religion de Constantin , Anuario de Historia de la Iglesia, vol22,2013 ,p,20

التعليم في مقاطعة إفريقيا البروقنصلية واقعه ومؤسسته .

الجنديّة على حق المواطنة الرومانية. والمعروف أن أغلب الجنود المتقاعدين يتحولون إلى مستوطنين تمنحهم السلطة فرصة الاستقرار والزواج الشرعي على أرض فلاحية في المناطق القريبة من الليماس. فالخدمة العسكريّة تجعل من الجيش مدرسة لتأهيل الجندي الإفريقي ودفعه إلى الانخراط في الرومنة الثقافية والايديولوجيّة والمقصود بها أسلوب العيش وإتقان اللغة اللاتينية واعتناق الديانات الرسمية مثل عبادة الأباطرة الصالحين.

القديس ماكسليميان (saint Maximilien): (ولد بمدينة تبسة)* (خلال القرن الثالث الميلادي وكان يعمل كجندي في صفوف الجيش الروماني بإفريقيا اقتنع بالديانة المسيحية رغم الأوامر الصارمة والانضباطية المعروفة بالجيش الروماني وأمام إصراره على عدم التراجع عنها خضع لمحاكمة في 12 مارس 295م من قبل بروقنصل إفريقيا ديون وأصدر حكم بإعدامه وهو في سن العشرين حينما رفض أداء القسم الخاص بالجيش الروماني لتعارض ذلك مع معتقداته المسيحية التي ترفض تكريس تقديس الإمبراطور.

.....
العامل العمراني والتمدن الروماني عاملا لتطور التعليم بالبروقنصلية :

تعددت محاولات إعادة اعمار قرطاج لكنها فشلت لأسباب مختلفة أهمها محاولة يوليوس قيصر غير أن اغتياله حال دون إتمام مشروعه. وفي 27 قبل الميلاد¹¹ قرر أكتافيوس ابن يوليوس قيصر بالتبني والملقب بأغسطس (Auguste) مؤسس النظام الإمبراطوري إعادة بناء قرطاج وإحياء النشاط فيها، إذ أصبحت حسب قول سترابون (Strabon) عند موت أغسطس المدينة الأكثر

¹¹ يختلف المؤرخون في تحديد تاريخ تأسيس قرطاج من طرف أغسطس، فالبعض يذكر تاريخ 29 قبل الميلاد

بدل سنة 27:313 Toutain, Les cités romaines de la Tunisie, p.313:27

بصديق عبد الكريم

إعمارا بالسكان في شمال إفريقيا¹²، فكان من الطبيعي أن تصبح عاصمة لإفريقيا البروقنصلية المقاطعة الرومانية الجديدة. وازدهرت المنطقة خلال العهد الروماني على جميع الأصعدة وتميزت بنشاط سكاني واقتصادي كبير منذ بداية القرن الأول ميلادي، نظرا لاهتمام الرومان بها واستقرار الكثير منهم فيها سواء كانوا جنودا متقاعدين وعائلاتهم أو مالكي أراضي إيطاليين فقدوا أراضيهم¹³، فتقدمت الحياة المدنية، إذ يمكن احصاء مائتي مدينة في هذه المقاطعة¹⁴، أنشأت أو أعيد تهيئتها على النمط الروماني المعروف. فتعددت وظائف المدينة في النسبة لمقاطعة إفريقيا البروقنصلية التي هي إحدى مقاطعات إفريقيا الرومانية وأكثرها ازدهارا فقد حرصت روما على استغلال أراضيها الزراعية الخصبة الموروثة من قرطاج واستفادت من ثراء أراضيها، خاصة منطقة المزاك¹⁵ (Byzacum).

واقع التعليم في افريقيا البروقنصلية:

في بداية التاريخ الروماني وخاصة قبل غزو ما وراء البحر، كان التعليم في روما يحرص عليه من قبل الآباء، ومانوا يعلمون أبنائهم كل ما يعتقدون أنه نافع و أساس ي لهم فمثلا النبيل CATO علم ابنه القراءة والكتابة واستعمال السلاح والسباحة¹⁶ في هذه الفترة كان تعليم الحد الأدنى لدرأ الأمية والتعليم كان بالأساس ذكوريا. التغيير الكبير في التعليم الروماني أتى مثل تغييرات كبرى

¹² Strabon, Géographie de Strabon, traduction par Tardieu) Amédée(, 4 vol, Hachette, Paris, 18671890-, XVII, 3, 15

¹³ Mahjoubi) Ammar(, les cités Romaines de Tunisie, S. T. D. Tunis, p. 10.

¹⁴ Picard)G.- Ch.(, La civilisation de l'Afrique Romaine, études Augustiniennes

¹⁵ -الشريف (محمد الهادي)، تاريخ تونس: من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تعريب محمد الشاوش ومحمد عجينة، الطبعة الثالثة، دار سراس للنشر.

¹⁶ - Jerome carcopine , daily life in ancient Rome the people and the city at the height of the empire, great Britain , 1941, P 118.

التعليم في مقاطعة إفرقيا البروقنصلية واقعه ومؤسساته .

أخرى لدى غزوهم للإغريق و التعرف للأدب و الثقافة اليونانيتين ، جعل الأرسقراطيين يعرفون ما يجب أن يحصلوا عليه من أدب و علم .

كان يجب على النبيل المتعلم معرفة اليونانية و اللاتينية ، ليكون على بينة من أدبيات الثقافتين و حتى يكون قادرا على إعطاء الخطب الرسمية في الأماكن العامة مئات الآلاف من الإغريق الذين أسروا من قبل الرومان كانوا جاهزين للتعليم حتى يعدوا خطباء مفوهين.

عرف في افريقيقا البروقنصلية وجود معلمين :المعلم الأول عرف تحت مسمى Paedagogus و هو عبد وجه له أمر بتعليم الصبي الروماني الصغير مبادئ اللاتينية و الإغريقية ، و من الناحية التقنية فمهمة Paedagogus الأساسية هي توجيه و حماية الطفل و مرافقته في خروجه كل مرة لتعليمه آداب التعامل مع العامة .

عند بلوغ الطفل سن السادسة أو السابعة يتولاه معلم آخر يوقع عقد مع والديه يعلمه عادة القراءة و الكتابة و الحساب و كان يدعى هذا المعلم ، litterator في المرحلة الثانية النطق و الكتابة مع الإجادة و في المرحلة الثالثة يدخل مرحلة الإتيقان مع Gramaticus المعلم.

في اليوم الدراس ي العادي ، يبدأ الدرس مع شروق الشمس و عليه يستيقظ الطفل مبكر ، يلبس و يفطر و يأخذه مرافقه paedagogus إلى غاية المدرسة ، و لم تكن الدراسة بالمعنى الذي نعرفه حاليا ، فقد تكون إما في قاعة أو محل مكترى أو إحدى جنابات الساحة العامة ، و عادة ما يجلس المعلم على كرس ي على شكل جذع شجرة en forme de tronc مرتفعا على مستوى الطلاب الذين يجلسون حوله على كراس صغيرة¹⁷

¹⁷ Aldrete , op-cit, PP 62-65

بصديق عبد الكريم

فيما يتعلق بتعليم القراءة و الكتابة و الأدب للفتيات فقد تفاوتت تفاوتا كبيرا من منزل لأخر، و عليه فهناك عدد قليل من النساء الشهيرات بعلمهن الكبير، كما كان كان الهدف الرئيس من تعليمهن بصفة .ينظر إلى قدرتهن بعين الريبة و الاستياء إن الكتابات الأثرية في ربوع الإمبراطورية عامة يدور حول موضوع نسج الملابس الرومانية قد خلدت لنا هذه الوظائف التعليمية فقد عثر بروما على النص التالي:
C(aio) Lucilio C(ai) I(iberto) /
Apollonio/paedago(go)/Apollonia/filiapatripo(s)it¹⁸

ومعنى النص: وضع النص لكايوسلوكيلوس أبولونيوس معتوق كايوس الذي شغل منصب معلم صغار (paedagogo) (وضعت له النقيشة إينته أبولونيا. واقع التعليم من خلال الأبيغرافيا اللاتينية:

شملت المواضيع الميثولوجية المجسدة في مختلف الوثائق الأيقنوغرافية الأنشطة والآلات الموسيقية، ويمكننا، من خلال بعض الأعمال الفنية، ملاحظة دقة تصميم الآلات التي تحاكي الواقع الاجتماعي رغم انتماء بعض المواضيع والمشاهد المجسدة إلى التيارات الهيلنستية¹⁹. والطريف في الأمر، أنّ الأفارقة استطاعوا أن يجدوا توليفة بين مواضيع ميثولوجية هيلنستية وآلات موسيقية ذات خصائص مورفولوجية لاتينية، على غرار "أورفيوس" حاملا آلة الـ"قيثارة" أو الربة "أثينا" المجسدة بآلة مزار مزدوج لاتيني!

لم تكن البلاد التونسية بمنأى عن الازدهار الثقافي الموسيقي كما تبلغنا الوثائق الأيقنوغرافية، في حين أنّ أغلب البحوث تغضّ الطرف عن نشأة ثقافة

¹⁸ AE 1988, 0424/the basic problem of family composition and the rituals of marriage, and how to teach children during the Roman period

¹⁹ -عقون (محمد العربي)، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 2.

التعليم في مقاطعة إفريقيا البروقنصلية واقعه ومؤسساته .

موسيقىّة تسبق الفتوحات الإسلاميّة أو تتجاهل محور الموسيقى ونجدها تتطرق إلى مختلف جوانب الثقافة، غير مهتمّة بدور الموسيقى وخصائصها ورمزيّتها في المجتمع لدى الأفارقة²⁰ ،

هي علم مساعد لعلم الآثار الرومانية، موضوعه الكتابة على سطوح صلبة (حجارة. رخام. اجر.خشب.)، وظهر استعمال العبارة بمدلولها الحالي أواسط القرن التاسع عشر، على السنة المهتمين بالكتابات القديمة (باليوغرافيا)، من علماء الآثار وبهمنا هنا الابيغرافيا اللاتينية.

اقتبس اللاتين كتابتهم من نظام الكتابة الذي كان سائدا عند جيرانهم الايتروسك والإغريق اليونانيين، حوالي القرن السادس قبل الميلاد، فقد عثر على نماذج باكرة من الأحرف اللاتينية المقتبسة من الاتروسكية، وهو واضح من خلال أشكال الحروف، ونظام الكتابة والقيم الصوتية للحرف من حيث قلة عدد الصائتة (الممدودة)، منها وغالبية الصامتة، وهو ماتطلب وقتا طويلا لتكييف الأبجدية الاتروسكية مع النظام الصوتي في اللغة اللاتينية المنطوقة. فظهرت حروف فيما ترمز للأصوات، وجرى تبديل لبعض القيم الصوتية الاتروسكية بأخرى، ثم أضيف إلى اللاتينية حرفان أوأخر العصر الجمهوري هما: ي و ز (y z) فأصبح عدد الأحرف اللاتينية 23 حرفا²¹ .

ولعل البطء الكبير في تطور الكتابة اللاتينية كان سببا في تأخر استعمالها من

²⁰ -رستوقترف (م). ، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، ج .01ترجمةومراجعة زكي على ومحمد سليم سالم ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، 1957م،

²¹ -اكصيل (اصطيفان)، تاريخ شمال أفريقيا القديم، ترجمة محمد النازي سعود، الجزء السابع: الجمهورية الرومانية والملوك الأمالي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط . . 2007م.

بصديق عبد الكريم

طرف الرومان أنفسهم، حيث كانت اليونانية سائدة لديهم حتى القرن الثاني قبل الميلاد). تكتب اللاتينية في النقوش بالأحرف الكبيرة. وبعد كتاب مدونة النقوش اللاتينية "copus" inscriptum latinorum الذي أصدرته أكاديمية برلين عام 1863 تحت إشراف "تيودور مومسن" قاعدة أساسية للابيغرافيا اللاتينية، وقد صدر مجلد واحد منه عائد للفترة الجمهورية في البداية، ثم توالى صدور بقية المجلدات الثمانية، ضمت جميع ما عثر عليه من نقوش²² *رموز الأعداد الدالة على الآلاف: يكتب فيها العدد الروماني عاديًا ويوضع خط فوق العدد

الدال على الآلاف.

مراحل التعليم في البروقنصلية وأطواره :

كان على التلاميذ الأفريقيين أن يترددوا كالرومان واليونان على درس المعمم الأول أو الميّي ارتور²³ magister ludi- primus magister- litterator الذي يلقنه القراءة والكتابة ومبادئ عمم الحساب مستعملاً قمماً من القصب وحاً من خشب، أو سناناً منقشاً على لوحة من الشمع.

أما نظام المدرسة، فقد كان قاسياً إلى درجة تنفر التلاميذ منها، إذ استعملت العصا والجمد لعقاب المذنبين، وضعاف الاهتمام بدروسهم، وقد عبر عن ذلك القديس أوغسطين حينما تحدث عن المراحل الأولى لدراسته حيث يقول : "من الذي لا يروعه أن تُعاد لو طفولته ولا يُؤثر الموت إذ هو أتيح له أن يحيا

²² محمد البشير شنيقي، علم الآثار، تاريخه، مناهجه، مفرداته، دار الهدى عين مليلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص188.

²³ شافية شارن، بمقاسم رحمانى، محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص.ص.

التعليم في مقاطعة إفريقيا البروقنصلية واقعه ومؤسسته .

حياته من جديد "ويقول " : وكان كبار القوم يعدون أسلوب الضرب في التربية أسلوباً ممتازاً. وكم ممن سبقونا ، نهجوا لنا نهجاً وفرضوه علينا فوفروا لبني آدم تعباً كثيراً وألماً أكثر 50. "ولكن رغم ذلك فإن المعمم في كثير من الأحيان لم يكن محترماً لشخصه، ذلك لأن التلاميذ كانوا يشعرون أنو ينتهي لطبقة دون طبقتهم²⁴.

وفي المرحلة الثانية: يتعمم تلاميذ المرحلة الثانوية على يد القرماتيقوس او اليتيراتور²⁵ grammaticus قواعد اللغة اللاتينية وصرفياً، ويحفظ أميات الكتب مثل شعر فيرجيميوس²⁶ Virgilius) ونثر قيقيرو (، Cicero،) (ويتمقّى دروساً في اللغة الإغريقية ومبادئ الموسيقى والعروض والفمسة والرياضيات والفلك²⁷ ومما امتاز به الأساتذة الأفارقة اتمامهم بالبلاغة، وبحثهم عن الأساليب والتعابير اللغوية القديمة، وعن القدامى من الشعراء اللاتين أمثال: أنيوس (Ennius). حيث يوجد في الشعر المكتوب على النقائش الأفريقية ما يدل على نذا الاعتبار وبذه العناية بالصيغة واللفظ، والإهمال أحياناً للمعنى والمحتوى. لكن الفضل قد يعود إلى بؤلاء الأساتذة لإسياميم في اخت ارع بوادر الخط "النسخي" القديم الذي عوض حروف "التاج Lettres capitales () ("وأدى إلى الاستغناء عن لف ورق الكتاب القديم Volumen () واستبدالو بصفحات الكتاب الحديث codesc الذي رسخ رواجو في نياية العيد القديم. وقد كشفت الحفريات

²⁴ أوغسطينوس، اعترافات القديس أوغسطينوس، نقميا إلى العربية: الخوري يوحنا الحمو، ط 4، دار المشرق، بيروت، 1991 ص16.

²⁵ وتعني كممة الميتراتور في قاموس اللغة اللاتينية من يعمم الحروف أو مبادئ القراءة والكتابة . ينظر: مصطفى محمد قنديل زايد، التعبير عن التعميم في الفن اليوناني والروماني، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الآداب، جامعة طنطا، مصر، ص 1422/2001هـ، ص08.

²⁶ فيرجيميوس: بو ألع شعراء الرومان، ولد بشمال ايطاليا سنة 70 ق.م. توفي برنديسي في إقليم كلابريا عى ضفة بحر الأدرياتيك، ودفن جثمانو في ضواحي نابولي.

²⁷ I bid, P.P.(255-256).

بصديق عبد الكريم

في مدينتي مقتاريس (مكثرت) وتموقادي (تمقاد) عن نقائش دلت على التدرج نحو بروز الخط النسخي²⁸.

إن هذا التعليم كان مملا للطلبة، ولقد عبّر عن ذلك القديس أغسطينوس حيث كان يتذمر بمرارة لما يشعر بو من ممل عند دراسته مغامرات انياس، وديدوني، ويستحضر تقزز زملائه من أبيات بوميروس وفيرجيميوس التي تحفظ من قبل التلاميذ قسراً²⁹.

وفي المرحلة الأخيرة من مراحل التعليم كانت موكمة إلى الـrhetor الذي كان يمقّن الفصاحة وفن الخطابة، استشيادا بالنصوص الأدبية البميغة ومن الخطب الشيرة. وقد تشمل دروسو على مواد الآداب والتاريخ والفسفة والعلوم. وكان كئي أوما ينتقل الطمبة الميسوري الحال من سائر المدن الأفريقية إلى قرطاج عاصمة الولاية، 78 التي أصبحت منذ القرن الأول بعد الميلاد ثقافياً متطورا ومقصود من كل أنحاء المغرب القديم وفي هذا السياق يذكر أبوليوس المادوري " :إنك لاترى في قرطاج إلا نخبة المثقفين المضيعين في مختف العلوم: طمبة يدرسون وشباب يتباهون بعلومهم وشيوخ يدرسون...إن قرطاج مدرسة معتبرة في منطقتنا، إنيا ندية السماء للأفريقيين"³⁰

²⁸ عمار المحجوبي، ولاية إفريقيا من الاحتلال الروماني إلى نياية العيد السويري (146 ق.م-235م)، مركز النشر الجامعي، تونس، 2001ص152.

²⁹ شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب: محمد مزالي، البشير بن سلامة، د ط، ج 1، الدار التونسية لمنشر، 1969ص 248.

³⁰ النص كما ورد في المصدر nostrae magistra venerabilis, Carthago, africae mrusa musa Caelistis ينظر: محمد العربي عقون، من التاريخ البلدي للجزائر القديمة في العيد الإمبراطوري الأول منذ استيلاء سيبوس عى سيرتا (46ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، دراسة في تاريخ وأثار ونظم سيرتا العتيقة، أطروحة دكتوراه العموم في التاريخ القديم، تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد الصغير غانم، كمية العموم الإنسانية والعموم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2004-2005م، ص.350

التعليم في مقاطعة إفريقيا البروقنصلية واقعه ومؤسسته .

نجد نصا مهما يرجع ل: يوفينال³¹ (Juvénal) عالم من القرن الأول الميلادي ينصح خطيبا ولد في زوما بالذباب إلى الضفة الأخرى لمتوسط (أفريقيا) بحثاً عن حظ أوفر قائلاً لو " :إن أفريقيا بي الأرض التي أنبتت المحامين والفصحاء..."³²

اهم المراكز التعليمية في إفريقيا البروقنصلية :

قرطاج : كان اتعليم العالي في قرطاج لو شيرة عالمية في العصر القديم، وكان يتم تمقين مختمف العلوم: الفمسة، الحقوق، الطب، الرياضيات، عموم الطبيعة، الفنون الجميمة وخاصة البلاغة، حيث يتتمذ الطالب على يد أشير المدرسين، ويستمتع في المسرح بمحاضرات الأدباء والمسرحيات والمناظرات الأدبية، وفي المسرح المغطى Odeum بعروض الموسيقى والغناء والرقص.

أما لغات التدريس بمركز قرطاج القديمة بي: اللاتينية واليونانية، حيث كانت الكثير من المواد العممية المدروسة باتعليم العالي تعطى بمغة يونانية، فالطب مثلا: كان يدرس باليونانية حتى القرن الخامس ميلادي، وما كان يدرس باللاتينية أحيانا ليس إلا ترجمات لنصوص يونانية الأصل.

-سيكافنيريا Sicca Veneria (:) مدينة نوميدية قديمة، تقع على الطريق الرابط بين قرطاج وبيبون. اشترت بيذا الاسم منذ القرن الرابع ق.م، أخذت اسميا من معبد مشيور لإلية الحب والجمال فينوس Venus³³ درس بيا أرنوبيوس الأكبر³⁴ Arnobius في عقد الإمبراطور ديوقميتيانوس. وي الآن تنتهي إلى الدولة التونسية³⁵.

³¹ شاعر لاتيني (حوالي 60-140) (لوديان شعر في اهجاه، ناجم فيوسليببات عصره

³² Juvénal, Satires, texte établi et traduit par H. Clouard, Paris : Garnier, S.D, VII, P.P (148-149).

³³ عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 49.

³⁴ أرنوبيوس الأكبر: ولد سنة 260م وتوفي سنة 327م، عمل أستاذا لمبيان في مقاطعة أفريقية، اعتنق الديانة المسيحية في كيولتو ومن أمم كتب في هذا المجال: " ضدا على الوثنيين." وقد عد أرنوبيوس في الثقافة المسيحية

بصديق عبد الكريم

-مادوروش Madoure (:) مدينة نوميدية قديمة، أصبحت مستوطنة رومانية حوالي نياية القرن الأول الميلادي. كانت مدينة لمعم والفلاسفة والأدباء، معروفة بازدياربا الثقافي، وتعد مدرسة ذات صيت واسع أنجبت مفكرين كبار أشيريم الفيمسوف النوميدي أبوليوس المادوري، والقديس أوغسطينوس، ومسقط رأس عمماء آخرين أمثال: النحويين ماكسيموس Maximus () ونونيوس Nonius (.) أضف إلى ذلك أن القديس أوغسطينوس درس بيا. يمكن الآن رؤية أطلال مادور قرب مدينة مادوروش بالجزائر الحالية³⁶.

3) (بيوريكيوس Hipoo Regius (:) مدينة نوميدية قديمة أستوطنها في البداية الفينيقيون، ثم أصبحت مستعمرة رومانية وازدهرت حتى عام 430م، حيث اجتاحتها الوندال. تسمى الآن عنابة تقع بالشرق الجزائري. وقد زاول بيا القديس أوغسطينوس نشاطه الديني والفكري، وفيها تم عقد ثلاثة مؤتمرات سنوات (393، 395، 429م) ونشطت بيا دراسة الفنون حتى المستوى الثانوي وبكذا كانت إحدى المراكز الثقافية والعلمية بالمغرب القديم³⁷.

خاتمة:

حاز التعليم على أهمية بالغة في المجتمع الروماني ولكنه بخلاف اليوم كان يختلف من قول عائلة لأخرى ومان مرتبطا بالمكانة الاجتماعية و حتى بالجنس ، فقد ضمن تعليم ن عنه أنه جيد للذكور مقارنة بما حصلت عليه الإناث ، لأن

المتوسطة أنو من آباء الكنيسة لأنو كرس حياتو لخدمة النصرانية. محمد الحبيب بشاري، الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها، مجمة عصور، مجمة عممية محكمة، عموم إنسانية تاريخ وحضارة، العدد :20، منشورات مخبر البحث التاريخي (مصادر وتراجم)، جامعة وبران، الجزائر، جانفي-جوان 2013، ص43.

³⁵ عمار المحجوبي، المرجع السابق، ص152.

³⁶ Gsell (S), M'Daouruch, T2, fouilles exécutées par le service 67 des monuments historiques, Carbonel (Alger) et de Bocard, Paris, 1914-1918 P.6.

³⁷ عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص.

التعليم في مقاطعة إفريقيا البروقنصلية واقعه ومؤسسته .

المجتمع لروماني كان يعد الذكر لأن يصبح قائدا أو خطيبا مفوها أما المرأة فأرقى ما يمكن أن تصل إليه هو الإشراف و خدمة و تسيير بيت زوجها.
كما كان أغلب تلامذة قرطاج يزورون روما وأثينا أو بما معا قصد إتمام دراستيم، وقد دشن الإمبراطور سيفيروس في القرن الثاني ميلادي، مبادرة حميدة تتمثل في منح الطمبة المغربيين القدامى منحة دراسية لإتمام دراستيم بالمراكز العممية ذات المكانة المرموقة في العالم القديم ،وكانت الحياة الطلابية في قرطاج، كما كان يتذكرى الأسقف أوغسطينوس، مزيجا متفاوتا من الإقبال بجد وكد على الدراسة ومن الانهماك في الترف الذي كانت توقره المسارح والملاعب وغيره من الملاهي.

يبدو أن السياسة التعميمية حققت بعض النتائج حيث ظير ببلاد المغرب الكثير من المفكرين والعلماء الذين كانت ليم مساهمات نامة في الفكر الإنساني العالمي، في المجال الأدبي من كتابات مسرحية وفن الخطابة والشعر والقصص وفي المجال العممي والفمسمفي والتاريخي والديني.

يعتبر التعليم من أعم الأعمال التي كانت تشرف عليها إدارة المدن في العيد الروماني، حيث كان يتم انتداب المعممين الذين يقومون بالتدريس وتدفع لهم أجورهم.³⁸ إلا أن نذا كان حك أر على الفئات الاجتماعية الحضرية المترومنة الغنية والمتوسطة. على الرغم من أن روما، تركت المجال اتعليمي لإدارة البلديات، إلا أنيا كانت تشع تدريس اللاتينية وأدابيا في المغرب القديم، لما لذلك من دور فعال في ربط المتعممين بالحضارة الرومانية، فتظهر فئة أكثر تعميما وأقل بربرية

³⁸ Stéphane Gsell, H.A.A.N, T :I, librairie Hachette, Paris, 1913.1927 ,T: I.P.16.

بصديق عبد الكريم

وسيمة الانقياد، وفتح المجال لتمك النخب لمشاركة في الحياة المدنية، وممارسة
التدريس والقاء الخطب العامة والمشاة في الأنشطة الحضريّة³⁹.

³⁹ Boissier (G.), L'Afrique Romaine, promenades archéologiques en Algérie et en Tunisie, Hachette et Cie, Paris, 1895,P.101